﴿* قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٢٧﴾

[ق: 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لمّا ذكرتِ الآياتُ السابقةُ شأنَ الكَفّار العنيد الذي أشرك باللّه تعالى ما لم يُنزلْ به سلطانًا، وجاء الأمر بإلقائه في جوفِ جهنَّم؛ ناسب بيانُ ما يقوله قرينُه ردًّا على زعمه بأنَّ القرينَ هو الذي أضلَّه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾: (طغي) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُجاوَزَةِ الحَدِّ في العِصْيانِ، يُقالُ: طَغَوْتُ وطَغَيْتُ طَغَوانًا وطُغْيانًا، وأطْغاهُ كذا: حمله على الطُّغْيانِ، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧﴾ [النازعات: 17]، وقال هنا: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾، أي: (ما أضْلَلْتُه، ولا حملتُه على التمرُّدِ وشِدَّة الظلم لنفسه ولغيره)[2].

2) ﴿ضَلَٰلِۭ﴾: (ضلل) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ضَياعِ الشَّيْءِ وذَهابه في غَيْرِ حَقّه، يُقالُ: ضَلَّ يَضِلُّ ويَضَلُّ، لُغَتانِ، وكُلُّ جائِرٍ عَنِ القَصْدِ ضالٌّ، والضَّلالُ هو: العدولُ عن الطَّريق المستقيم عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا، ويضادُّه الهداية[3]، والمراد به هنا: الحَيرَةُ الشَّديدة، أو الحَيرةُ البعيدةُ دواؤها وتلافيها[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُبَيِّنُ الآيةُ أنَّ الشيطان المُقَيَّضَ لإضلال الإنسان سيقول في رَدِّه

لا سلطانَ للشيطان على الإنسان

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 387.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طغى)، والعسكري، الوجوه والنظائر، ص: 315.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، مفردات القرآن: (ضل).
(4) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 302.

على الكافر الزاعم بأنَّ القرين هو الذي أضلَّه: يا ربَّنا إنَّني ما أطغيتُه، ولا أجبرتُه على الكفر والعصيان، ولكِنْ هو الذي كانَ في ضَلالٍ بَعيدٍ دون أن أكرَهَه أنا على هذا الضلال والكفر[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصلِ الجملة:

جاءت جملة: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾ بدون الواو؛ لأنَّها استُؤنِفَت، كما تُستَأنَفُ الجملُ الواقعةُ في حكاية التقاوُل؛ إذْ لمّا قال قرينُه: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾، وتبِعَه قولُه تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾، وتلاه قولُه تعالى: ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾؛ فُهِمَ أنَّ ثَمَّ مقاولةً من الكافر، لكنَّها طُرحت لوجود ما يدلُّ عليها، كأنَّه قال: (ربِّ هو أطغاني)، فقال قرينُه: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾[2].

تـــرك الـــواو للدَّلالة على قولٍ محذوف

فائدةُ ذِكر فِعل القَولِ ماضيًا:

كثُر في القرآن ذكر فعل القول قبل مقولِه، كما في هذه الآية: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾؛ لبيان ما يصدر عن القائل ممّا ينطِق به لسانُه، ويجول في نفسه، مع تصوير المَشهَد بجميع حيثيّاته، ومجيئُه ماضيًا باعتبارِ الحكاية لِما سيقع كأنَّما وقع.

بلاغةُ استعمالِ مُفرَدَةِ القَرين:

المراد بالقرين في قول الله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾ هو الشيطانُ الذي قُيِّض للكافرِ المنكِرِ للبعث، والتعبير عنه بالقرين جاء لبيانِ وجه الملازمة في الدُّنيا، فإنَّ غالبَ الناس لهم قرناءُ من الإنس أو الجنِّ أو من كِلَيهما، وللقرناء أثرٌ في تسويغ مرادِ النَّفس للحقِّ أو الباطل، والمراد هنا قرناءُ الشَّرِّ، ففيه إيماءٌ إلى الأثر الذي يتركه القرينُ في قرينِه، مع فائدةٍ عزيزة، وهي أنَّ أثَرَ القرين ليس

كـــلُّ نـــفـــسٍ مـحـاسَـبـةٌ على أعمالِها، وليس لـلـقـريـنِ قـوَّة جَـبريَّـة لإغـواء النّاس

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 346.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 387.

بأمرٍ لازم، بل تسويغٌ وإغواءٌ لما تَرغَبه النَّفس من الأعمال والأقوال، وأنَّ التَّذرُّع بالقرين ما هو إلّا أمرٌ باطل، يدَّعيه الكافرُ يوم القيامةِ؛ لعلَّه ينال مَهرَبًا ممّا هو فيه.

علَّة النداء بعنوان الربوبيَّة:

التَّوسُّل بالرُّبوبيَّةِ لما تحويه من دلائلِ الرَّحمة

جاء النِّداءُ بوصف الربوبية دون غيره من أوصاف الحقِّ ﷻ في قول الله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾؛ جريًا على عادة المتوسِّلين في ندائهم الله بهذا الوصف؛ لِما فيه من بالغِ الرغبة في إجابة توسُّلاتهم وتحقيقِ آمالهم وحاجاتهم التي يتضرَّعون من أجلها، التي تتمثَّل هنا في إلقاء الوِزرِ كلِّه على الإنسان، وإعفاءِ الشيطان منه بالكُلِّيَّة[1]؛ لِما تحويه الرُّبوبيَّةُ من آثار الرَّحمة، فهُم يتوسَّلون لله تعالى برحمته التي وسِعَت كلَّ شيءٍ.

علَّةُ الإضافةِ في ﴿رَبَّنَا﴾:

تعظيمُ المُنادَى طلبًا للنَّجاة

أُضيف لفظ الربوبيَّة إلى ضمير الجمع، في قول الله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾، ولم يقل: (رَبِّ)، مَعَ كَوْنِ القائِلِ واحِدًا، كَما في قَوْلِ خليل الله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: 143]، وقَوْلِ نوحٍ ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ [نوح: 28]؛ لِما في الإضافة إلى ضمير الجماعة من تعظيم المُنادَى، والإقرارِ بأنَّه ربُّ الجميع[2]، وهو الأوفَقُ بهذا المقام من الدُّعاءِ باستجلابِ الرَّحَمات، فإنَّ إفرادَ المنادَى لا يتَّسِق في مثل هذا المَقام.

دلالةُ النَّفي بـ ﴿مَآ﴾:

التَّبَرُّؤ من جميع أنواع الإغواء، وإثباتها لصاحبِه

﴿مَآ﴾ في قول الله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾ هي النافيةُ العاملةُ عملَ (ليس)، وقد أوثِر النفي بها؛ لأنَّ من خصائصِها نفيَ الجُمَلِ الاسميَّة والفعليَّة، فهي آكدُ في النَّفي من (ليس)، وأوسعُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 428.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 138.

استعمالًا منها؛ لأنَّ (ليس) مختصَّةٌ بنفي الجُمَل الاسميَّة فحَسْب[1]، والنَّفي بها أنسبُ هنا؛ لأنَّها تُفيد - بمعناها ومبناها المختومِ بألف المدِّ - نفيَ أيِّ دَورٍ أو أثرٍ للقرين في طغيان الإنسان وانحرافه عن طريق الإيمان نفيًا قاطعًا عامًّا، وهو ما أراده القرينُ من دفع التُّهمة عنه، فهو ينفي أدنى درجاتِ الطغيان عن نفسِه؛ ليُثبِتَها لقرينه.

دلالةُ المذكورِ على الحذفِ البَليغ:

طـغـاةُ الـكـفـرِ سريعو الـبراءة مـن قـرنائـهـم لما يـشـاهـدونه من أشكالِ العذاب

آثر النَّظم الكريم إسنادَ فِعلِ الطغيان المنفيِّ ماضيًا إلى الضمير العائد على القرين في قول الله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾؛ لتأكيد نفي الإطغاء، وتحقيقِ عدم حصول شيء منه بالكُلِّيَّة، وإثباتِه للكافرِ المنكِر للبعثِ، وهو ردٌّ على قولٍ محذوفٍ نطق به الكافر يُثبت فيه الإغواء للقرين، وسوَّغَ حَذْفَه كونُه معلومًا من الرَّدِّ، وكان الحذفُ لبيان سرعة تبرُّؤِ قرناء السوء بعضِهم من بعضٍ يوم القيامة، وقريبٌ من هذا: الحوارُ الذي جرى بين المستكبرين والمستضعفين، فكان ردُّ المستكبرين: ﴿أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢﴾ [سبأ: 32]، فإنَّ كلًّا من طرفَي الغواية يوم القيامة سيلجأ إلى البراءة من الطَّرَف الآخر، ومن نكت الحذف كذلك: إهمالُ ما يصدر عن المنكِر في ذلك اليوم العَصيب إذلالًا وتحقيرًا لشأنه.

بلاغةُ المجاز المُرسَل:

نفي المُسَبَّب يدلُّ على نفي السَّبَبِ بداهةً

في تعبير القرين بفعل الطغيان المنفيِّ مجازٌ مرسَلٌ علاقتُه المسبَّبيَّة؛ إذ عبَّر في قوله: ﴿مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾ بالمسبَّب - وهو الطغيان - وأراد السَّبَب - وهو الأمر به، فالمعنى: (ما أمرتُه بالطغيان، ولا زيَّنتُه له بحالٍ من الأحوال)[2]، ونفي المسبَّب أقوى وأبلغ هنا؛ لدلالته على نفي السَّبب بداهة.

(1) السامرائي، معاني النحو: 4/ 191.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 314.

دلالةُ العَطْفِ والاستِدراك:

تمَسُّكُ القرينِ بأصلِ سلوكِ الإنسانِ؛ سعيًا لتَبرِئة نفسِه

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾؛ لعطف ما بعدها على جملة ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ الواقعةِ جوابًا للنِّداء، فالقرين لم يكتفِ بنفي كلِّ أثرٍ نسبه الكافرُ له في إغوائه وإطغائه، بل أثبت له الضلالَ البعيد، وجاء بحرف الاستدراك (لَكِنْ)؛ لتأكيد نفي ما يسبقه، وإثباتِ ما يأتي بعدَه؛ لأنَّه الغاية من قوله، والهدف الرئيس من كلامه، "فالاستدراك لدفع توَهُّم أن المقارنة بينهما تقتضي أن يكون ما به من الطغيان بتلقين القرين، فهو ينفي ذلك عن نفسه، ولذلك أتبع الاستدراكَ بجملة: ﴿كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾، فأخبر القرين بأنَّ صاحبَه ضالٌّ من قَبلُ، فلم يكن اقترانُه معه في التقييض، أو في الصحبة بزائدٍ إيّاه إضلالًا"[1].

نكتة استعمالِ الكَينونة:

ضلالُ الكافرِ المُعاندِ طبعٌ له وسَجيَّة

آثر النَّظم الكريم ذكرَ فعلِ الكينونة الماضي في قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ الكافر كان في ضلالٍ بعيدٍ على الدَّوام، فهو ضالٌّ في أصالة سلوكه واعتقادِه، وهو ما يُرَشِّح في احتجاجِ القرين أنَّه لم يكن صاحبَ التأثير الإجباريِّ في سلوك الكافر في الدُّنيا، وبدأ بفعل الكينونة؛ للدَّلالة على أنَّ إكثارَه من الضَّلالِ جعله ضالًّا، كالجِبِلَّة التي يُجبَل عليها الإنسان؛ فإنَّ كثرةَ سلوكِ الإنسان لفعلٍ من الأفعال يجعله له كالطَّبع والختم له.

بلاغة استعارة ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾:

الضلالُ يحيطُ بالإنسانِ الكَفّارِ إحاطةَ الظرف بالمظروف

في استعمال حَرفِ الظَّرفيَّة مع لفظ الضَّلال من قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ استعارةٌ مكنيَّة؛ إذ شُبِّه الضلالُ بحفرةٍ عميقةٍ وبئرٍ سَحيق أُلقي فيه الإنسانُ بنفسه، وغاص في أعماقه، حتّى أحاط به إحاطةَ الظَّرف بالمظروف، ثمَّ حُذف المشبَّهُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 314.

به، ورُمِز إليه بشيء من لوازمه، وهو حرف الظرفيَّة، على سبيل الاستعارة المكنيَّة، التي تُصوِّر تمكُّنَ الضلال من الإنسان دون حاجة إلى إغواء الشيطان.

غرض التَّنكير:

جيء بالاسم المجرور بحرف الظرفيَّة في قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ نكرةً منوَّنًا؛ لما يفيده التنكيرُ والتنوينُ من التعظيم والتفخيم معنًى وجرَسًا، وفيه دلالة على أنَّ الإنسانَ الكَفّار يعيش في ضلالٍ لا يُقادر قدرُه، ولا تفي العبارةُ بحقيقته ولا بوصفه.

بلاغةُ وصفِ الضَّلالِ بالبُعْد:

الإنسانُ الكَفّارُ متمكِّنٌ في الضَّلال حدًّا بعيدًا

التعبير في صفة الضَّلال بالبُعد - ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ - قد يكون استعارةً تصريحيَّة، شُبِّه فيها الضَّلالُ البالغُ في قوَّة النَّوع حدًّا لا يبلغ إليه إدراكُ العاقلِ بسهولةٍ بالطَّريق إلى المكان البعيد، لا يبلُغه سالِكُه إلّا بمشقَّةٍ، ولا يَعود منه إلّا بمشقَّة، ولا يُرجى له الاهتداء عادة، أو هو تشبيهٌ للضَّلال المَكين بِبَعيد الزمان، أي: (في ضلالٍ قديمٍ أصيل)، فالاستعارةُ لتأكيد مُفادِ فِعلِ الكينونة، والمعنى أنَّ تمكُّنَ الضلال منه يدُلُّ على أنَّه ليس فيه بتابع لما يُمليه غيرُه عليه؛ لأنَّ شأن التابع في شيءٍ ألّا يكونَ مَكينًا فيه[1]، والكَفّار متمكِّنٌ من الضَّلال، فالضلالُ محيطٌ به من جميع جوانبه، لا يُمكِن رجوعه معه، ومن ثمَّ كان يبادر إلى كلِّ ما يُغضِب الله، وإن حرَّكَتَه إليه؛ فإنَّه لا يحتاج إلى أدنى تحريك، فيثور له ثورةَ مَنْ هو مَجبولٌ مركوز في طباعه[2].

الكَفّارُ يُسابِقُ الشَّيطانَ في ضلالِه ووسوسته

وقد يكون في وصف الضلال بالبعيد مجازٌ عقليٌّ علاقته السَّببيَّة؛ إذ أُسنِد وصفُ البُعد إلى ضمير الضلال، والأصل أن يُسنَد إلى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 314.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 428.

الكَفّار أو إلى ما يدلُّ عليه؛ لأنَّ البعد وصفٌ للضّالِّ لا لمعنى الضَّلال، أي: (ضلالًا بعُدوا به عن الحقِّ)، فأُسند البُعدُ إلى سببه[1]، وما جاء عليه النَّظم الكريم يُبيِّن لنا أنَّ الضلالَ قد استبدَّ بذلك الكَفّار، ووَصَل به إلى أبعدِ الغايات، وأقصى الدرجات التي لا مَزيدَ عليها، والتي لا تجعله في حاجة إلى إغواء الشيطان أو إضلاله؛ لأنَّه يفعل ما لا يخطر ببال الشيطان، ونظيرُ ذلك قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ [إبراهيم: 22].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/ 148.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"